المحاضرة الثالثة:

مفهوم فلسفة التاريخ

تمهيد:

هناك علاقة وثيقة بين التاريخ والفلسفة، فالمؤرخ يحتاج إلى الفلسفة ومناهجها ونظرياتها لدراسة الأحداث والمواقف التاريخية، والتمحيص والتدقيق في حوادث الماضي يحتاج إلى القدرة على فهم النشاط الإنساني وتطوره، وهذا هو محور الدراسات والنظريات الفلسفية. كما يحتاج الفلاسفة إلى دراسة أحداث الماضي والحاضر وقياسها وفق نظريات مختلفة لوضع مناهج ونظريات يستفيد منها المجتمع في حاضره ويضع على أساسها البنيات والبرامج المستقبلية. وبذلك يكون المؤرخ والفيلسوف منهج موحد في طريقة استقراء الأحداث والتدقيق فيها من ثم استخلاص النتائج التي تبني على أساسها النظريات والمناهج .

ومن يقرأ التاريخ يدرك أن العلماء في الماضي كانوا فلاسفة ومؤرخين في آن واحد وعلى رأسهم أرسطو طاليس فهو أول الفلاسفة الذين بنوا نظرياتهم على أساس معرفة التاريخ مما يؤكد حاجة المؤرخ إلى معرفة الفلسفة من قبلها مقدرة الفيلسوف على سبر غور التاريخ ودراسة أحداثه بصورة دقيقة، والأحوال المحيطة بالمواقف التاريخية من أجل وضع مناهج ثابتة مستفيدة من عبر التاريخ لإنارة طريق الحاضر والمستقبل. وتأتي هذه المحاضرة لتناقش علاقة التاريخ بالفلسفة وهو ما عرف بفلسفة التاريخ. تلتمس الفلسفة من التاريخ الواقعية وضرب الأمثال. كلاهما يكمل الأخر قصورا ومن ثم كان الزواج قائما بينهما رغم معارضة الأهل من فلاسفة ومؤرخين.

مفهوم فلسفة التاريخ:

يرجع أول استخدام لفظ "فلسفة التاريخ" إلى فولتير، وأن كان ذلك لا يعني أنها قد ابتدأت به، وإنما ترجع إلى ابن خلدون، وقد قصد فولتير بهذا المصطلح دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أي دراسة ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات، وهو ذلك يعني كل رواية غير مقبولة لدى العقل أو محتملة الشك .

تعد نقطة الانطلاق في فلسفة التاريخ لدى فولتير من استنكاره أن تصبح دراسة التاريخ أكواما مترامية من المعارك الحربية أو المعاهدات السياسية دون مفهوم أو حكمة بادية، وهو إذ أراد تنقيح الدراسة

التاريخية بما يمكن تسميته بالتاريخ النقدي، فقد قصد أيضا إلى تعديل طبيعة الدراسة التاريخية من التاريخ السياسي والعسكري إلى فلسفة الحضارة، مهمة التاريخ النقدي أن يحرر الفكر الإنساني من العبودية و الخرافة والغباء من أجل نشر الحرية والتنوير والعقل، ومهمة فلسفة الحضارة أن تتسع دراسة التاريخ لما هو أهم من أخبار المعارك وسير الملوك، أن يتتبع سير العقل البشري ممثلا في شتى مظاهر النشاط الإنساني

أما نقط في فلسفة التاريخ لدى ابن خلدون ففي التمييز بين الظاهر والباطن في التاريخ، وفي باطنه نظر وتحيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق لذلك في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها.

أن فلسفة التاريخ كالفلسفة عامة، هي شكل من أشكال الوعي الفلسفي التركيبي، فهي تصوغ موضوعاتها على أساس المعرفة التاريخية والسوسيولوجية الملموسة والفهم التقويمي الأخلاقي لحياة البشر الاجتماعية. أن فلسفة التاريخ ذات أهمية كبيرة للغاية لفهم الفلسفة ذاتها، وذلك لجمعها بين توجه الإنسان الأخلاقي الروحي التقويمي- العقائدي والعاطفي وبين المعرفة العلمية والاستيعاب العملي للواقع. فضلا على ذلك، يبدو لنا أن فلسفة التاريخ هي من حيث بنيتها أكثر للنماذج مطابقة لبنية

الوعي الفلسفي عامة.

إن فلسفة التاريخ كما تؤكد الموسوعة الفلسفية تعطي تفسيرا للعملية التاريخية و المعرفة الإنسانية، إلا أنها لا تقتصر على نظرية علم التاريخ فحسب، إنما هي قبل كل شيء ميدان فلسفي خاص أيضا.

مهمتها الإدراك الكامل للعملية التاريخية وتفسيرها، باعتبارها نتيجة تفاعل عوامل اجتماعية موضوعية ونشاط الإنسان المبدع. وتتحدث فلسفة التاريخ عن اتجاه التاريخ وعن قواه المحركة ومضمونه وأهميته، وعن عوامل التطور، وعن التي يجسدها الإنسان في التاريخ

مقولات فلسفة التاريخ:

يمكن لنا تحديد مقولات فلسفة التاريخ فيما يلي:

أولا، مقولة الكلية إن نقطة البداية في فلسفة التاريخ هي التكامل بين الأجزاء والترابط بين الأجزاء، إذ تبدو الأحداث التاريخية أمام نظر الفيلسوف أجزاء لا رابط بينهما، ومن ثم يطلب الوحدة العضوية بين هذه الأجزاء، لأن فلسفة التاريخ لا تقف عند عنصر معين ولا تكتفي بمجتمع خاص. وإنما تضم العالم كله في إطار واحد من الماضي

ثانيا، مقولة الكلية تعد مسألة العلية ركن أساسي في فلسفة التاريخ، بل مسلمة تقرر أن مسيرة الحياة تخضع لنظام شامل يربط بين الأجزاء ويقود النوع الإنساني، أن بإمكان العقل البشري أن يصيب بعض التوفيق في محاولة الكشف عن علل الحوادث ترابطها.